



الجمالية الإسلامية في أدنبرة وجامعها المركزي

أدنبرة- كاكاى لى

باشر المسلمون الهجرة الى الجزر البريطانية منذ عدّة عقود. وبعد الحرب العالمية الثانية شجعت الحكومة الهجرة كجزء من متطلبات عملية إعادة بناء البلاد. وخبداً أثناء الخمسينات والسبعينات، وصل المهاجرون المسلمون الى هنا. لقد جاؤوا من أنحاء مختلفة في العالم واستقرت في النهاية جاليات كبيرة منهم في الأماكن التي توفرت فيها فرص العمل.

الإسلام ليس فقط ديناً ولكنه أيضاً أسلوب حياة. ويمكن أن يلاحظ ذلك من خلال المحافظة على الصلاة ونمط العيش من حيث عادات اللباس والطعام. وفي مجتمع غير مسلم، يكون المسجد مهماً ليس فقط للصلاة ولكن للمتطلبات الوظيفية الأخرى حيث يصبح مركزاً اجتماعياً أيضاً للجمالية المحليّة.



إفطار في شهر رمضان الكريم Iftar in Ramadhan

متحف التاريخ الوطني الإسكتلندي الحديثة التي تقع في مكان قريب، على سبيل المثال، هذه البنايات متماثلة في استعمالها الحجارة والألوان والأشكال الهندسية والأقواس. كلتا البنايتين مؤشرا قويا على تقدّم أدنبرة، وهندستها المعمارية الحديثة جداً. لكن الذي يدهش المرء هو ولاء المعمارين غير المباشر للمعمار الجاور، بينما تبقى الهندسة المعمارية للمسجد على التزامها بالطراز الإسلامي الرمزي. على خلاف المركز الثقافي الإسلامي في لندن، على سبيل المثال، يقف المسجد المركزي بحرية في منتصف فناء صغير. المدخل المقوّس، المثذنة، القبة، وتناظر الأشكال الهندسية كلها واضحة للجمهور. بينما يرتبط المسجد بحركة الشارع حيث يمر به مئات الناس كل يوم في مثل هذه المنطقة القريبة، فإنه منفصل عن هذه الحركة بباب لا يدخله إلا المسلمون والزوّار المدعوون وآخرون من يحبون الإطلاع. تكلمت مع غير المسلمين من يمرون بالمسجد فقالوا <

هناك أكثر من 10.000 مسلم في أدنبرة هم من العوائل المستقرة والطلاب الذي يعيشون في المدينة، عدا رجال الأعمال والسّيّاح الذين يترددون على المنطقة. ووجود المسجد شجع الطلاب المسلمين للدراسة في أدنبرة، وبالرغم من أن الأغلبية الواسعة من الطلاب لا تعتقد بأن أدنبرة في الوقت الحاضر فيها حضور إسلامي قوي، إلا أن هناك كثافة سكانية يعتد بها تحيط بالمسجد. وفي شوارع أدنبرة هناك محلات صغيرة لبيع المواد ومطاعم الوجبات السريعة، ومطاعم كبرى ومحلات بيع اللحم الخلال وكلها ملوكة للمسلمين الذين يحضرون للمسجد. وتوفر المسجد وموقعه هما عاملان مؤثران لجذب الطلاب للدراسة في أدنبرة. المسجد له موقع مفتوح وسط مدينة وذلك في قلب منطقة الجامعة، بجانب شارع مزدحم مقابل موقف سيارات كبير. ويعطي المسجد منظراً حديثاً يضيف إلى التنوع المعماري الذي تطور في المنطقة ببطء خلال العقود السالفة، ويتوافق بناء المسجد مع بناية

هاجر المسلمون لأسباب مختلفة، وليس بالضرورة لأسباب اقتصادية، البعض جاؤوا كطلاب أو من خلال الهجرة الإجبارية بسبب مجاعة أو حرب في بلدانهم الأصلية. واستقر هؤلاء استقراراً حسناً كمواطنين يساهمون بشكل كبير في الاقتصاد المحلي والوطني. صاغ المسلمون الملتزمون أسلوب حياة أخلاقي لأنفسهم حول صرح ديني هو المسجد. الإسلام ليس فقط ديناً ولكنه أيضاً أسلوب حياة. ويمكن أن يلاحظ ذلك من خلال المحافظة على الصلاة ونمط العيش من حيث عادات اللباس والطعام، وفي مجتمع غير مسلم، يكون المسجد مهماً ليس فقط للصلاة ولكن للمتطلبات الوظيفية الأخرى حيث يصبح مركزاً اجتماعياً أيضاً للجمالية المحليّة. إنها بناية مهمة ليس فقط لأداء العبادات ولكن أيضاً للالتقاء بالإخوان. وحيث أن المسلمين يكونون أقلية في المنطقة، تقوم الهندسة المعمارية للمسجد بإبراز الرموز التي تشعر المسلم بهويته في الغرب.

إنّ الفكر والممارسة الإسلامية حاسمان في تحديد الهندسة المعمارية للمسجد لأنّ العقيدة يمكن أن تحدد حجم واتجاه ومحتويات المسجد.

أكّد البياتي أفكاره التي تشكل مزيجاً من الغرب والشرق، وتصاميمه ليست فقط نتيجة للممارسة الغربية التي انتقلت إلى الأفكار الشرقية. المسجد المركزي يعكس تفسيره لهذا الامتزاج. المسجد المركزي ما زال مسجداً جديداً نسبياً لكنه يحدث أثراً في الدوائر المعمارية ليس فقط لمدينة أدنبرة ولكن أيضاً بين السكان المسلمين. بالنسبة لأولئك الذين يستعملون المسجد، فإنه بنائه ذات دور وظيفي بحجم جيد توفرت لهم، وهو هادئ ونظيف من الداخل وأيضاً مؤثر جداً من الخارج. ■

بشكل غير واع وتصبح جزءاً من الحياة اليومية. وهذا ينطبق بالخصوص على الحراب. صمم المسجد المركزي من قبل رجل مسلم عاش حياته وتلقّى تدريبه المعماري في الغرب والشرق الأوسط (العراق). ولد باسل البياتي في بغداد، في 1946. وبدأ مهنته في العراق حيث درس الهندسة المعمارية في جامعة بغداد وواصل دراساته في لندن. في الثمانينات، وبعد الحصول على الجنسية البريطانية، اختار البياتي البقاء في المملكة المتحدة لمزاولة الهندسة المعمارية في لندن.

إنهم يعتقدون بأنه مميّز جداً لكنهم أظهروا تردداً وقالوا بأنهم لن يعبروا الباب إذا لم يكن عندهم سبب يدعوهم لذلك. إنّ القائمين على المسجد يدركون بأنّ هذا هو تصور الكثير من الأهالي. وحاولوا أن يكونوا منفتحين بقدر الإمكان، وأن يرحبوا بالزوار ويأخذونهم في جولة حول المسجد ويحدثونهم حديثاً عاماً عن الإسلام. العديد من الزيارات تأتي من المدارس المحليّة. وهم يقومون أيضاً بإلقاء المحاضرات وتنظيم الجولات. والأسلوب الآخر الذي يوليه المسجد باهتمامه الخاص هو تنظيم معرض دائم، مفتوح للجمهور، في القصر القديم الملحق بالمسجد خلف الفناء الرئيسي.

قبل تأسيس المسجد المركزي، كان المسلمون يصلون في شقّة صغيرة لكن في الثمانينات، اشترت قطعة أرض من مجلس المدينة، بشرط المحافظة على البنية الموجودة في الموقع، وعمرها مائتا سنة، وأن تستعمل، وحتى يومنا هذا، ما يزال القصر القديم ضمن فناء المسجد يستعمل كمعرض لأساسيات الإسلام وفيه غرفة يفطر فيها الصائمون أثناء شهر رمضان. ومع تكلفة كلية لمشروع المسجد بلغت ثلاثة ملايين جنيه استرليني، اعتبر التصميم النهائي ناجحاً. وأنتج معماراً جمالياً مسرّاً وبناء تتمتع بكونها تجمع بين سمات الهندسة المعمارية المحليّة والمتطلبات الرمزية والوظيفية للمسجد. المحاولات الأولى في تصميم المسجد رفضت من قبل مخطّطي مجلس مدينة أدنبرة، واحد أمثلة هذا الرفض كان لطلب منذنة أعلى من المنذنة الحاليّة، ولكنه رفض على أساس أنه يغير من أفق أدنبرة الحالي. ويمكن أن يرى من خلال ذلك مثالا للقيود التي تعوق محاولات التعبير عن الذاتية الإسلامية. في الإسلام، تكون منذنة المسجد البنية الأعلى في المنطقة لكي تشرف على الفضاء الإسلامي وأن المسلمين ضمن المنطقة يمكن أن ينظروا للأعلى ليعرفوا فوراً أنّ هناك مسجداً.

إنّ الفكر والممارسة الإسلامية حاسمان في تحديد الهندسة المعمارية للمسجد لأنّ العقيدة يمكن أن تحدد حجم واتجاه ومحتويات المسجد. على سبيل المثال، أن الحراب هو الذي يحدد اتجاه المصلى. وبالنسبة للمسلمين، بعض خصائص البناء من حيث الشكل قد يرى كعلامات رمزية للصعود الطقوسي من الحقيقة الفردية إلى حالة جماعية من الوحدة التامة. إنّ المسجد يتخذ أيضاً مكاناً لمراسيم الزواج ومباركة له، وفي أوقات الوفاة مكاناً لإقامة الحداد، ومحلا للأغراض التربوية، وقاعة للإفطار والمهرجانات. الزينة الجمالية قد تكون تذكيراً رمزياً للمسلمين بالأرض المقدّسة مكة المكرمة وضواحيها، وتأتي الخصائص المعمارية الرمزية للمسجد لكي تجسّد



محلات إسلامية
Muslim Businesses